

حكومة خفية ونظرية مؤامرة

محمد يوسف عدس

أول ما سمع العالم عن قيام نظام عالمي جديد تقوده الولايات المتحدة الأمريكية كان على عهد الرئيس بوش الأب، ثم جاءت إدارة بوش الابن لتشن حرباً إمبريالية بهدف الهيمنة على العالم تحت شعار الحرب على الإرهاب وهي حرب شاملة تستخدم فيها أمريكا كل الأسلحة العسكرية والاقتصادية والإعلامية والفكرية .. حرب استبيحت فيها كل الحقوق والحريات والمقدسات .. فمن يقف وراء هذا النظام العالمي الجديد هل هو جورج دبليو بوش وديك تشيني ورامسفيلد وغيرهم من الشخصيات المعروفة؟ .. أم أن هناك سلطة أعلى غير معروفة لنا هي التي تقوم بذلك؟ .. وهل الرؤساء ورجال الإدارة الأمريكية مجرد وسائل وأدوات تحركها سلطة خفية، أعضاؤها غير معروفين لنا؟ ..

بوضوح أكثر: هل هناك حكومة خفية تحكم العالم وفق خطة سرية لا نعلمها .. سمها إن شئت مؤامرة؟! ..

الذين يذهبون إلى هذا الرأي ليسوا عدداً قليلاً من الناس، بل كثيرين .. وهم مستهدفون من جانب الصحافة والإعلام الذي ينسبهم إلى "نظرية المؤامرة" ويعرضهم للسخرية والالتهام بترويج خرافات وأساطير لا سند لها من الواقع.

ونتيجة لذلك يحرص الكتاب والصحفيون على أن يناووا بأنفسهم عن هذه التهمة التي يوصم بها كل من رفع أصابع الاتهام مشيراً إلى وجود مؤامرة عالمية تُحاك ضد العرب والمسلمين وضد الإسلام نفسه.

لست أشك أن جانباً كبيراً من قصص نظرية المؤامرة شائعة في الأوساط الشعبية الأمريكية، وفيها خلط كثير بين الحقائق والخرافات التي هي من صنع الخيال .. ولقد كتبت عن هذا الجانب من نظرية المؤامرة في التاريخ الأمريكي والمجتمع الأمريكي عدة مقالات سبق نشرها من قبل، ومن ثم طرحت نظرية المؤامرة جانباً لفترة من الوقت .. ولكن في الآونة الأخيرة تجمعت أمامي حصيلة كبيرة من الكتابات والوثائق تدل على أن ثمة مؤامرة عالمية تُحاك وتنفذ بالفعل ضد الإسلام والمسلمين وضد العرب والعروبة .. تعززها أحداث ومواقف سافرة معلنة علي الساحة ولا تحتاج إلى تفسير أو تحليل، أذكر منها بعض ما نشاهده الآن يجري أمام عيوننا:

✍ الغزو الإسرائيلي للبنان وتدميرها ومماثلة أوروبا وأمريكا في إيقاف آلة الحرب الإسرائيلية وإعاقة استصدار قرار من الأمم المتحدة بالوقف الفوري لإطلاق النار.

✍ المجازر الإسرائيلية اليومية للفلسطينيين في الأرض المحتلة ومحاصرة فلسطين، ومصادرة أموال الفلسطينيين والسطو على بنوكهم بدعم أمريكي سافر.

✍ الاحتلال الأمريكي لأفغانستان وتدميرها واحتلال العراق وتدميرها وإشاعة الفوضى الأمنية فيها وإشعال الفتن والحرب الأهلية بين الطوائف والقوميات تمهيداً لتقسيمها.

✍ الإساءة المتواصلة للإسلام ولرسول الإسلام في الإعلام والصحافة، وآخر فصل في هذا المجال ما نشرته مؤخراً المجلة الفرنسية "لو فيجارو" من هجوم جاهل على الإسلام.

✍ تصريحات الحبر الكاثوليكي الأكبر في محاضرة ألقاها بجامعة ألمانية واستنكافه أن يعتذر للمسلمين اعتذاراً صريحاً والاعتراف بخطئه وجهله بحقيقة الإسلام وحقيقة نبيه وتاريخه وحضارته.

✍ القوانين الاستثنائية التي تكبل حريات المسلمين المقيمين في أوروبا وأمريكا بحجة الحرب على الإرهاب. كتاب جدير بالاهتمام:

منذ بضعة أشهر وأنا مُكب على قراءة كتاب عجيب باللغة الإنجليزية يتألف من ١٢٠٠ صفحة .. يشدك إليه غرابة فكره وموضوعاته ونبرة الصدق فيه والجهد الهائل الذي بذله صاحبه في جمع مادته والحقائق المذهلة التي يحتوي عليها وتنطق بها الوثائق التي حشدها .. أما لماذا وضعه مؤلفه باللغة الإنجليزية وهو عربي يجيد اللغة العربية، ربما أكثر من إجادته للغة الإنجليزية، فهو أمر يزيد من غرابة الكتاب!!..

لقد جري بيني وبين صاحبه حوارات وأحاديث عرفت خلالها أن هذه مرحلة أولية من مراحل تأليف الكتاب وأنه ينوي ترجمته إلى اللغة العربية في مرحلة لاحقة .. صاحب هذا الكتاب هو الدكتور/ صلاح عبد الكريم.

جمع الدكتور/ صلاح عبد الكريم بين دفتي هذا السفر الكبير آفاً من المقتبسات استقاها من مصادرها الأصلية منسوبة إلى أصحابها، ولذلك فهو لا يزعم أنه مؤلف وإنما جامع ومحرر.

ويشكل هذا العدد الهائل من الكتابات والوثائق بين دفتي كتاب واحد موسوعة أو مرصداً للمعارف في موضوعات لا غني عنها لأي كاتب أو باحث .. فهذا مصدر كبير وثري لمادة أولية غني محررها باختيارها وتوثيقها ووضع لها عنواناً هو : "النظام العالمي الجديد ميلاد أم شيخوخة".

وأري أن الدكتور/ صلاح كان شديد التواضع عندما سجل أنه مجرد جامع أو محرر للمادة فهو وفقاً لما قال عن نفسه إنه قام بعملية اختيار واسعة لمواد ووقائع تؤيد وجهة نظر معينة أو تؤسس لقيام (نموذج تفسيري) يساعدنا في فهم الأحداث والوقائع التي تبدو للوهلة الأولى عشوائية لا رابط بينها .. ولكنها في ضوء هذا النموذج التفسيري تكتسب أهمية خاصة ومعني جديداً أو كما يقول هو: سوف ننظر إلى ما يُنشر في الصحف والإعلام من أحداث بعين جديدة تزيل عنها غموضها والتباسها وتيسر علينا فهم العلاقات والروابط التي تجمع هذه الأحداث في نسق واحد،

ومن ثم نستطيع التفاعل معها والاستجابة لها استجابة عقلانية صحيحة، وهو بهذا المعنى يعتبر عمله نوعاً من أنواع التأليف الذي يجعله مسؤولاً عن المادة التي يستعرضها ويوظفها لخدمة فكرة معينة أو اتجاه معين وإن تحدث بلغة الآخرين ..

قارن بين هذا الموقف المتواضع الذي تضمن اعترافاً صريحاً من صاحبه بأنه اختار من بين النصوص والوقائع ما يثبت وجهة نظره، وبين موقف رأس الكنيسة الكاثوليكية المراوغ الذي اقتبس كلاماً منسوباً إلى إمبراطور بيزنطي يسئ فيه إلى الإسلام وإلى نبي الإسلام إساءة فاحشة، فلما طلب منه الاعتذار أخذته العزة بالإثم وتأسف لا عن خطئه ولكن عن سوء فهم المسلمين لما صرح به ، ثم ادعى كاذباً أنه يحترم الإسلام والمسلمين، دون أن يقدم دليلاً واحداً من كلامه أو عمله ومواقفه على هذا الاحترام المزعوم، بل على العكس من ذلك تماماً فتصريحاته ومواقفه تدل على النقيض من مزاعمه، فقد كان أول ما افتتح به عهده البابوي أنه نصح الدول الغربية بالألا يسمحوا لتركيا بالانضمام إلى الوحدة الأوروبية؛ لأن أوروبا أرض مخصصة للمسيحية، وتركيا دولة مسلمة، وثنى على ذلك بإزاحة الكاردينال الذي كان ينسق في عهد البابا السابق للحوار بين الإسلام والمسيحية من الفاتيكان، وقد فهم قادة الفكر الإسلامي بحق أن هذا البابا لا يؤمن بالحوار بين الحضارات وإنما بصدام الحضارات.

صلاح عبد الكريم اعترف بمسئوليته عن النصوص التي اختارها، ولكن البابا حاول التنصل من النص الذي ساقه في محاضراته ليؤكد وجهة نظره، وقال إنه كلام الإمبراطور وليس كلامه هو، ونحن نعرف أنه كلام الإمبراطور الجاهل ولكن البابا ساقه ولم يفنده أو يعارضه، ومعنى هذا أنه يوافق عليه .. ولن يصدقه أحد عندما يتنصل من مسئوليته تجاه هذا النص؛ لأن هذا التنصل مناقض لمنطق الفهم الإنساني، وهو الذي زعم بأن الإسلام متناقض مع المنطق، فعن أي منطق يتحدث هذا الرجل؟! ..

نظام يقوم على أسس عنصرية استغلالية:

من أبرز المهام التي يتصدى لها كتاب صلاح عبد الكريم: بلورة وتوثيق المصالح الغربية والكشف عن السياسات الحقيقية التي نفذتها القوي الإمبريالية تمهيداً لبناء النظام العالمي الحالي، كما أنه يناقش عملية تشكيل هذا النظام الذي يرى أن من أبرز سماته أنه يتحور حول فكرة أساسية وهي اختلاق أعداء خارجيين ليحشد قواه المبعثرة، ويقوم بتدميرهم .. كانت الشيوعية هي العدو في الماضي والآن جاء دور الإسلام. في هذا السياق يرى أنه لا بد من أن نطرح جانباً كثيراً من الأساطير التي تروج لها وسائل الإعلام ويرددها الأكاديميون والمثقفون في أوساطهم

عن واقعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي فجرت غضب الغرب، ومن ثم شرع في الانتقام بإعلان الحرب على الإرهاب ، فالمسألة لها أبعاد أخرى تصب في المشروع الغربي الأمريكي للسيطرة على العالم والاستيلاء على ثرواته ..

في إطار هذا النظام العالمي الجديد لم يعد هناك معني حقيقي للمزاعم الغربية التي تروج لفكرة أن الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان هي التي تلعب الدور الأساسي في السياسة الخارجية للقوي الغربية .. وفي هذا المجال يسوق المؤلف عشرات الوثائق السرية والمعلنة وعشرات الوثائق والوقائع التي تؤكد عكس هذا الزعم تماما

فهذه السياسة تتشكل على أسس أيديولوجية عنصرية عميقة الجذور في الفكر الغربي، وتوجهها مبادئ اقتصادية استغلالية ومصالح اقتصادية أنانية، تلعب فيها المبادئ الإنسانية المعلنة دورا هزيلا لتغطية الأهداف الإجرامية البشعة لهذه السياسة.

مؤامرة كبري محبوكة الأطراف:

والمسألة ليست صدفة أو استجابة تلقائية لعدوان إرهابي هنا أو هناك، وإنما هناك مخططات كونية أو مؤامرة كبري محبوكة الأطراف تأتي حكومات وتذهب بعد أن تكون قد أدت دورها في تنفيذ جانب من هذه المؤامرة الكبرى .. وما هذه الحكومات إلا أدوات ظاهرة لمجموعة من شرار البشر غير معروفة للناس، هي التي تتخذ القرارات المصيرية في العالم، وهي التي تختار من يمثلها في مقاعد السلطة على أعلى المستويات.

في اقتباس من كتاب للبروفسور "كارل كويجلي" الأستاذ بجامعة "برنستون" و"هارفارد" كلام خطير يكشف عن هذه الشبكة المتآمرة يقول فيه: "إنني على علم بعمل تلك الشبكة؛ لأنني قمت بدراستها لمدة عشرين سنة، وقد سُمح لي (لمدة عامين) في مطلع الستينات من القرن العشرين أن أفحص أوراقها وسجلاتها السرية، وأنا ليست لي اعتراضات عليها أو علي أهدافها .. ولقد اقتربت منها ومن كثير من وسائلها علي مدي فترة طويلة من حياتي، وأبدت اعتراضي في الماضي ومؤخرا على القليل من سياساتها .. ولكن يمكنني القول بصفة عامة أن اختلافي الرئيسي معها هو أنها تريد أن تبقى غير معروفة، وأن تبقى أعمالها طي الكتمان .. وأنا أعتقد أن دورها في التاريخ كان من الأهمية بحيث لا يجوز أن تبقى طي الكتمان، ثم يؤكد أن هدفها هو إقامة منظومة عالمية للتحكم المالي تكون خيوطه في أيدي نخبة من الأفراد القادرين على السيطرة على النظام السياسي (في كل دولة) وعلى الاقتصاد في العالم".

ثم يأتي اقتباس آخر يؤكد هذا المعنى يقوم فيه الأب بذرو زعيم الجزويت في الكنيسة الكاثوليكية (١٩٦٥): "هذه الجماعة الملحدة تعمل بكفاءة كبيرة وتستخدم كل الوسائل العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية المتاحة .. وتتبع إستراتيجية مرسومة بعناية ودقة .. وهي تتحكم تماما في المنظومات الدولية ودوائر المال ووسائل الإعلام من صحافة وسينما وراديو وتلفزيون".

ويجب أن نتذكر أن أول مهمة لإنجاح أي مخطط سري في أي مجال هو إقناع الجميع أنه لا يوجد أي تخطيط سري، ومن ثم رأينا هذه المجموعة المسيطرة تسخر وسائلها الإعلامية، وتسخر الصحفيين والإعلاميين في التغطية على أهدافها الحقيقية .. وإنكار وجود أي مؤامرة للسيطرة على العالم، وتوجيه الاتهام، بل السخرية إلى كل من يتشكك أو يحاول الكشف عن شئ من هذه المؤامرة بأنه يؤمن بنظرية المؤامرة، حتى أصبح الكتاب والمفكرون يتجنبون الخوض فيها، لكي يبعدوا عن أنفسهم هذه التهمة الشائنة.

ولكن من يقرأ هذا الكتاب حتى نهايته سيتحرر تماما من هذا الخوف لأنه عندئذ سيكون قد وضع يده على أدلة ووثائق دامغة تثبت وجود هذه المؤامرة .. ووجود مجموعة سرية شريرة من البشر ذات نفوذ هائل على الحكومات في العالم، وأنها بالفعل هي التي تتخذ القرارات المصيرية الكبرى في توجيه البشر والتلاعب بهم والسيطرة عليهم.

وهذا ما سنتبينه ونتعرف على أشكاله وأدواته ووسائله في مقالات لاحقة بإذن الله تعالى .. ونسال الله التوفيق والسداد.

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو
لندن